

المكانة الاجتماعية لنصارى الأندلس:

محمد الأمين ولد أن
أستاذ متعاون بقسم
التاريخ

كانت الأندلس الإسلامية خليطاً من الأجناس والعناصر المختلفة، ومن بين هؤلاء النصارى الذين ظلوا يشكلون مجموعة بشرية متميزة، وقد تمتعوا بحقوق وامتيازات عديدة في ظل الحكم الإسلامي، الأمر الذي شجعهم على الاندفاع بشكل كبير نحو الانفتاح على غيرهم من مكونات المجتمع الأندلسي، واستطاعوا منذ الفتح الإسلامي إقامة جسور للاتصال مع المسلمين، وذلك من خلال الاختلاط والاحتكاك المباشر، وتوجت علاقات الطرفين بقيام المصاهرات بينهما، وهو الأمر الذي ساهم في الاسترفاد من التقاليد والعادات المختلفة.

وهذا ما سنعرض له من خلال إظهار أهمية المصاهرات وما نجم عنها من تقارب وما آلت إليه من انبعاث طبقة المولدين ثم ما قامت به من نسج علاقات بين المجموعة النصرانية والمجموعة المسلمة وميلها إلى العادات النصرانية في آخر المطاف. ثم نتطرق للمجالات التي أثراها النصارى بأعمالهم ومهاراتهم مركزين على الطب وفنونه قبل أن نتحدث عن أعيادهم ورواجها حتى في الوسط الإسلامي على أن نختم بالزي الشائع لديهم ودرجة التسامح التي سادت بين المسلمين في التعامل مع الذميين بشكل عام والنصارى على وجه الخصوص في هذا الشأن بالذات.

1- المصاهرات:

ارتبط النصارى بالزواج مع المسلمين إذ لا ضير في ذلك حسب تعاليم دين الإسلام وفي ذلك يقول ابن القيم¹: "ويجوز نكاح الكتابية بنص القرآن، قال تعالى: "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ"².

إن الزواج من الكتابيات كان تقليداً درج عليه المسلمون منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد عدد ابن القيم أمثلة من زواج بعض الصحابة رضي الله عنهم من نساء أهل الكتاب، حيث تزوج عثمان نصرانية، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية³.

1- ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1994، القسم الثاني، ص419.

2- الآية 5، سورة المائدة.
3- ابن القيم: المصدر السابق، القسم الثاني، ص421.

ويذهب سيموني إلى أن كثيرا من النصرانيات كن يتزوجن بمسلمين، رغم عدم مباركة الكنيسة في الأندلس لذلك¹. وترجع البدايات الأولى لهذه الظاهرة إلى السنوات الأولى للفتح حيث تزوج عبد العزيز بن موسى بن نصير بأرملة لذريق المسماة إيجيلونيا (EGILONA)، وتسميها المصادر العربية أم عاصم، وقد سكن معها بكنيسة ريبنة (santa Rufina) في إشبيلية حتى مقتله سنة 97هـ/716م². أصبح الزواج المختلط بين المسلمين والنصارى ظاهرة شائعة في الأندلس والممالك الشمالية على حد سواء، فقد تزوج عبد الجبار بن نذير ابنة تدمير صاحب أوريولة³، وكانت أشهر المصاهرات بين المسلمين والنصارى زواج سارة القوطية من عيسى بن مزاحم، حيث أنجب منها عدة أولاد⁵، وفي عصر الإمارة تزوج الوزير تمام بن عامر⁶ بأم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية⁷.

اشتهر الحكام الأمويين بالأندلس بالزواج من النصرانيات، حتى صار عندهم عادة، وفقدوا بذلك نقاوتهم العرقية، وإلى ذلك أشار ابن حزم بقوله: "وأما جماعة بني مروان- رحمهم الله- ولاسيما ولد الناصر منهم فكلهم مجبولون على تفصيل الشقرة، لا يختلف في ذلك منهم مختلف، وقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا نزاعا إلى أمهاتهم،

1- Simonet francisco javier - historia de los mozarabes de espana- madrid 1897-1903. p238.

2- ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1، 1402هـ- 1982، ص37 / المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: نفع الطبيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، طبعة جديدة، دار صادر، بيروت، 1997، ج1، ص281 / بروفسال ليفي: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمه إلى الإسبانية إميليو جارتيا جومث، ترجمه إلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جدة، 2000م، ج1، ص57.

3- أوريولة: حصن بالأندلس، وهو من كورة تدمير، وأحد المواضع السبعة التي صالح عليها تدمير بن عبدوس عبد العزيز بن موسى بن نصير، حين هزمه عبد العزيز، وكان حصن أوريولة قاعدة تدمير، وبين أوريولة والش ثمانية وعشرون ميلا، ومدينة أوريولة قديمة أزلية، كانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم، بينها وبين مرسية اثنا عشر ميلا، وبينها وبين قرطاجنة خمسة وأربعين ميلا. الحميري محمد بن عبد المنعم: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المطار في خبر الإقطار، نشر إ. ليفي بروفسال، القاهرة، 1937م. بيروت، 1418هـ/1998م، ص34.

4- العذري أحمد بن عمر المعروف بابن الدلاي: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والممالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأمواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م. المصدر السابق، ص15.

5- ابن القوطية: المصدر السابق، ص32.

6- هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي، وقد ولد تمام بن عامر سنة أربع وثمانين ومانتين، وولي خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله، فانتظمت وزارته لثلاثة من الخلفاء، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومانتين، وله الأرجوزة المشهورة في افتتاح الأندلس. ابن الأبار أهر عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج1، ص143-144.

7- ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، بيروت، 1973، ص182.

حتى صار ذلك فيهم خلقة...¹، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار البيت الأموي في الأندلس بأنه بيتا مولدا، وأنهم كانوا عربا بالإحساس والاتجاه واللغة إلى حد كبير².

وتشير إحدى البحوث إلى أنه كان للأمير عبد الرحمن الثاني العديد من الجواري الإسبانيات كان بعضهن أمهات ولد له، ومن جواريه الشهيرات طروب ومجد والشفاء ومتعة وأثل "أم ولده المنذر" وقلم، وكانت أم الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني أم ولد اسمها عشار وقيل بهار، وكانت أم الخليفة عبد الرحمن الناصر أم ولد رومية اسمها مزينة³.

كذلك كانت أم الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر أم ولد نصرانية الأصل اسمها مرجان⁴، أما هشام المؤيد بالله بن الحكم (366هـ/976- توفي بعد قيام الفتنة) فكانت أمه السيدة صبح أم ولد بشكنسية⁵.

كما تزوج الحاجب المنصور ابن أبي عامر من نصرانية تدعى عبدة بنت شانجة، وأنجب منها ولده عبد الرحمن شنجول⁶ (399هـ/1008م)، ويشير ابن الخطيب إلى عبدة بأنها: "أبرت في الدين والفضل على سائر أزواجه"⁷.

ولم يقتصر الزواج المختلط على زواج المسلمين بالنصرانيات، بل حدث أن شهدت الأندلس زواج نصارى من مسلمات، وأمثلة هذه الزيجات شحيحة في المصادر العربية؛ فقد ذكر الخشني أن رجلا من النصاري ممن استنزل من الحصون المخالفة على عهد الخليفة الناصر كانت له زوجة مسلمة⁸.

1- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1980م، ص48.

2- مؤنس حسين: فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1405 هـ - 1995، ص376.

3- سحر السيد عبد العزيز سالم: الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق محمد حمام، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، 1995م، ص35.

4- سحر السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص36.

5- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، بيروت، ط3، 1983م، ص42 / ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003م، ج1، ص91.

6- ابن عذاري أبو العباس أحمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، ج3، ص38.

7- ابن الخطيب لسان الدين بن محمد السلماني: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف طویل ومريم قاسم طویل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج2، ص58.

8- الخشني محمد بن حارث القيرواني: قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م، ص213.

كما أشار ابن حيان إلى أن وجوه النصاري قد تنافسوا على جميلة بنت عبد الجبار عندما سبيت، وصارت لعظيم منهم تزوجها وأنجبت له ولدا أصبح فيما بعد أسقفا عظيما بكنيسة شنت ياقب¹.

كما تميز بنو قسي المولدين في الثغر الأعلى بتزويج بناتهم من ملوك وأمراء النصاري دون حرج، وتعتقد إحدى الباحثات أن عدم تخرجهم من ذلك يعود إلى أن بني قسي كانوا أكثر من المولدين اعتزازا بأصولهم الإسبانية على حساب إسلامهم، وكانوا يلتصقون في مصاهرة ملوك إسبانيا المسيحية لهم نوعا من التحالف ضد السلطة المركزية بقرطبة إذ كانوا دائمي الثورة على أمراء بني أمية، وكثيرا من خاضوا حروبا ضد قوات الدولة الأموية².

إن زواج النصرائي من المسلمة هو في نظر الشرع الإسلامي محرما، وهذا ما شكل عائقا أمام تعدد الزيجات من هذا النوع، ولهذا السبب كان محدودا بالأندلس.

أسفر الزواج المختلط في الأندلس عن ميلاد طبقة جديدة عرفت "بالمولدين"، وهم يختلفون عن "الأسالمية" أو "المسالمة"؛ فهؤلاء عناصر إسبانية أسلمت مع الفتح الإسلامي أو بعده، وبمرور الزمن اصطلاح على إطلاق اسم المولدين على كل من المولدين والأسالمية، بالرغم من أن أبناء الأسالمية وأحفادهم كانوا ينتمون إلى أصول إسبانية، وإن كانت هذه الأصول أكثر نقاء في الانتماء الإسباني من المولدين³.

2- ظهور طبقة المولدين:

مثل المولدون نسبة هامة من السكان المسلمين، وبخاصة في الجزء الشرقي من الأندلس حيث احتكوا بطائفة النصاري وكذا بالقيشاليين في الشمال الشرقي، وبسبب اتصالهم اليومي مع جيرانهم النصاري صعب انصياغهم للدولة الإسلامية، إضافة إلى تدميرهم الشديد من احتكار العرب الدائم للسلطة المركزية⁴.

1- ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، القاهرة، 1422هـ - 2001، ص 445. / وكنيسة شنت ياقب في ثفور ماردة، وهذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري، يذكرون أنه قتل في بيت المقدس، وأدخله تلامذته في مركب؛ فجرى به في البحر الشامي، إلى أن خرج به إلى البحر المحيط، حتى انتهى به إلى موضع الكنيسة بساحل فيه؛ فبنيت الكنيسة ليوم معروف جعل عيدا لها. الحميري: المصدر السابق، ص 115.

2- سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 37.

3- المرجع نفسه، ص 48-49.

4- Harakat Brahim – La communauté chrétienne Et celle d'origine chrétienne En Espagne musulmane vues par Les sources arabes- L'occident chrétien Au Moyen Age- coordonné par Mohamed hammam- université Mohamed v- publication de la faculté des Lettres Et Des sciences humaines- 1ere édition- Rabat 1995- P197.

لقد كان لنشوء طبقة المولدين نتائج إيجابية، لعل من أهمها سرعة انتشار الإسلام في الأندلس، كنتيجة مباشرة للزواج المختلط بين المسلمين والنصارى، إضافة إلى ظهور أسر مولدة نبغت في كافة مناحي الحياة العلمية والسياسية، وكانت لها إسهاماتها المتعددة في إرساء دعائم الحضارة الإسلامية بالأندلس¹.

أما على المستوى الاقتصادي؛ فقد اندمج معظم المولدين في القطاعات المنتجة، مثل تربية الماشية والزراعة في الأرياف، وصيد السمك والأعمال البحرية على الساحل، أما في المدن فقد زاولوا هم ومواليهم حرفا وأشغالا يدوية، واستطاعوا أن يجمعوا ثروات طائلة من الاشتغال بالتجارة².

ويشير ابن الأحمر إلى مجموعة من الأنشطة التي كانوا يزاولونها؛ حيث يقول: "فمن كان منهم بالبادية فاكْتَسَبُوا البقر والغنم والحرث والعسل، وأهل الجبال منهم فكانوا يغرسون الأجناد والفواكه وقطع الخشب وطبخ الفحم، ومن ولي البحر منهم كانوا يجلبون الحوت والسردين ويصنعون السفن وآلاتها إلى غير ذلك"³، ويستشف من ذلك أنهم كانوا أوفر العناصر نشاطا وأكثرها تلاؤما مع ظروف الحياة في الأندلس.

شكل المولدون صعوبات كبيرة أمام السلطة الأموية، نتيجة ميلهم إلى التمرد والعصيان، إذ حدثت خلافات كبيرة بينهم وبين العرب؛ فقد تعصب بعض الأمويين في الأندلس للجنس العربي باعتبارهم أصحاب السلطة وحماة الإسلام، وتعسف ولادة الدولة مع المولدين في جباية الضرائب، مما جعل هؤلاء يتعصبون ضد العنصر العربي، وهو ما أسفر عن ظهور الشعوبية المولدة في الأندلس⁴.

انتهج المولدون أسلوب الثورة، وكان لهم الدور البارز في الفتن التي عمت الأندلس في أواخر عصر الإمارة، وأخبارهم في هذا المجال تعج بها المصادر؛ فقد ثاروا في مدن مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال: البيرة وطليلة ووشقة⁵ واشبيلية وجيان⁶، مما يكشف على أن انتماءهم للعقيدة

1- سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص 49-50.

2- مؤنس: المرجع السابق، ص 435. / بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ج 1، ص 80.

3- ابن الأحمر إسماعيل: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 24.

4- سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص 57-58.

5- وشقة: مدينة بالأندلس وهي حصن على واد بقرب أفليش، وعلى وادي وبذة قرية يقال لها بنتيج أهلها نصارى. الحميري: المصدر السابق، ص 194.

6- راجع بهذا الخصوص: ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، القاهرة، 1422هـ - 2001، ص 118 / ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 4، ص 226 وما يليها / ابن حيان: المقتبس، نشر انطونية،

ص ص 24 - 84.

الإسلامية، واندماجهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لم يكن كافيا لإبطال مفعول الطائفية لديهم.

وقد خلقت هذه الصراعات والحروب بين العرب والمولدين تراكمات كبيرة من الحساسيات بينهم، إلى حدّ جعل المولدين في إستجه يمتنعون عن أداء الصلاة خلف إمام عربي¹.

3- مجالات عمل النصارى:

عمل النصارى في الوظائف العامة كالخدمة في الجيش والإدارة والدبلوماسية، كما اشتغلوا في مجال التجارة والزراعة وغيرها، إلا أنهم برزوا بشكل خاص في مزاوله مهنة الطب، حيث اقتصروا بهذه المهنة، التي كانت حكرا عليهم حتى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، حيث كان يعول في الطب بالأندلس على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الإبريشم، ومعناه المجموع².

ومن أشهر الأطباء النصارى في الأندلس خالد بن يزيد بن رومان الذي كان بارعا في الطب، ناهضا في زمانه فيه، وكان سكناه بيعة شنت أجلح، وكسب بالطب الأموال والعقار، وكان صانعا بيده، عالما بالأدوية الشجرية، وظهرت منه في البلد منافع³.

برز أيضا اسم الطبيب جواد النصراني الذي كان في أيام الأمير محمد، وله اللعوق المنسوب إلى جواد، وله أيضا دواء الراهب، وكلها مصنوعة من النباتات⁴.

على أن أشهرهم هو إسحاق الطبيب، الذي برع في صناعة الطب، وكان مجربا، تحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة، وتحنك فاق به جميع أهل دهره، وكان في أيام الأمير عبد الله وأول دولة الناصر لدين الله⁵.

كما برز ابنه الوزير يحيى ابن إسحاق، الذي كانت له خبرة في علاج الأمراض، وألف كتباً في الطب، وقد أسلم وكان مقرباً من الخليفة الناصر⁶.

1- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأنديسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973م، ص 254.

2- ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأنديسي: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص 92.

3- المصدر نفسه، ص 96.

4- المصدر نفسه، ص 93 / بالنثيا أنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأنديسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص 462.

5- ابن أبي أصيبعة: ابن أبي أصيبعة "أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص 488 / ابن جلجل: المصدر السابق، ص 97.

6- ابن جلجل، المصدر نفسه، ص 101 / ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 488.

وفي آخر عصر الأمير عبد الله ظهر الطبيب ابن ملوكة النصراني، وكان يصنع بيده، ويفصد العروق¹، ويبدو أنه حتى تلك الفترة كان التطبيب في الأندلس يتم في دور الأطباء².

- أعياد النصارى:

تمتع النصارى بكامل الحرية في الاحتفال بأعيادهم الدينية، ولم تتدخل السلطة الإسلامية في شيء من أمورهم، بل إنها سمحت لهم بتعطيل الخدمة يوم الأحد، حتى أصبح تقليدا شائعا لدى كتاب الحكام الأمويين بالأندلس وتعودوا عليه، وفي ذلك يقول ابن حيان: "وكان أول من سنّ لكتاب السلطان وأهل الخدمة تعطيل الخدمة في يوم الأحد من الأسبوع، والتخلف عن حضور قصره قومس بن أنتنيان كاتب الرسائل للأمير محمد، وكان نصرانيا دعا إلى ذلك لنسكه فيه؛ فقتبه جميع الكتاب طلبا للاستراحة من تعبهم والنظر في أمورهم؛ فانتحوا ذلك، ومضى إلى اليوم عليه"³.

وقد احترم المسلمون قدسية يوم الأحد عند النصارى، وأعيادهم الدينية الأخرى؛ فكان الحاجب المنصور ابن أبي عامر في حملاته العسكرية يسمح لجيشه بالخلود للراحة في يوم الأحد، وكذلك في الأعياد المسيحية، ليتاح للنصارى تأدية عباداتهم⁴.

كان للنصارى في الأندلس أعياد مختلفة، وقد حددها حفص بن البر بقوله: "فإن الذي أردته من الأعياد السبعة التي أمر القانون بصيانتها فهي معروفة؛ فأول يوم منها إذ بشر جبريل الملك مريم بميلاد المسيح، واليوم الثاني إذ ولد المسيح، والثالث إذ ختن إلى ثمانية أيام، والرابع إذ ظهر للهجيين، وأهدوا إليه ذهباً ولوبانا ومرا، وهو يوم النجم، والخامس يوم الفصح إذ قام عند القبر، والسادس إذ تخطفته السحابة، ورقى إلى السماء بمحضر الحواريين، والسابع إذ نزل روح القدس على الحواريين، وتكلموا بجميع الألسن"⁵.

1- ابن جلجل: المصدر نفسه، ص 979.

2- القفطي علي بن يوسف: تاريخ الحكماء، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر، دت، ص 360 / ابن جلجل: المصدر السابق، ص 978.

3- ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، بيروت، 1973، ص 138.

4- دوزي رينهارت: تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ج 2، ص 144.

Cagigas Isidro de las - minorias etnico-religiosas de la edad 144 media / espanola - los mozarabes- instituto de estudios africanos- madrid 1947- t2- p384.

5- القرطبي شمس الدين محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، 1980م، ص ص 424-425.

كان النصراني يحتفلون بعيد رأس السنة الشمسية، وهو ما يسمونه بـ"عيد النيروز"، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك في معرض كلامه عن أحداث سنة 364 هـ بقوله: "وأتى شهر يناير العجمي الشمسي الذي هو نوروز العجم بالأندلس لمدخل سنتهم العجمية يوم الاثنين..."¹.

وفي بعض أمثال العامة الأندلسيين ما يستشف منه احتفالهم بهذا العيد كقولهم: "خروجك من يناير أخير من خروجك من العنصرة"²، وكان الاحتفال برأس السنة متجذرا في الأندلس، إلى حد أن المسلمين أصبحوا يشاركون النصراني الاحتفال به، ولم يكن الأمر مقصورا على العامة منهم؛ فقد اختار المنصور ابن أبي عامر رأس السنة العجمية لعقد زواجه من ابنة غالب³.

كما ورد في بعض أمثال العامة إشارات إلى احتفال المسلمين بعيد رأس السنة، وأنهم كانوا يشترون بعض الأغراض كالحناء واللحوم والفواكه استعدادا له، لأنها من لوازم الاحتفال به⁴.

كذلك كان النصراني بالأندلس يحتفلون بعيد القديس يوحنا، ويسمونه بعيد العنصرة أو المهرجان، ويوافق اليوم الرابع والعشرين من شهر يناير⁵. وقد تأثر المسلمون بعيد العنصرة، حتى أصبحوا يؤرخون به؛ فقد رأى زرياب⁶ المغني أن يكون هذا اليوم هو ابتداء لبس البياض في الأندلس وخلع الملون⁷.

وقد خلدت هذا العيد أشعار كثيرة، وفيه يقول الوزير حسان بن مالك بن أبي عبدة:

أَرَى الْمَهْرَجَانَ قَدْ اسْتَبْشَرَا غَدَاةَ بَكَى الْمُرْنِ وَاسْتَعْبَرَا
وَسُرِبَلْتُ الْأَرْضُ أَمْوَأَهَا وَجَلَلْتُ السُّنْدُسَ الْأَخْضَرَا
وَهَزَّ الرِّيحُ صَنَابِيرَهَا فَضَوَّعَتْ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَا

1- ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص209.
2- الزجالي أبو يحيى عبد الله بن أحمد القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، دت القسم الثاني، ص205.

3- دوزي: المرجع السابق، ج2، ص100 / T2 P384 - Cagigas - op - cit.

4- الزجالي: المصدر السابق، القسم الثاني، ص328.

5- ابن حيان: المقتبس، السفر الثاني، ص324 / المقري: المصدر السابق، ج3، ص128.

6- زرياب: هذا لقب وقع عليه ببليده، من أجل سحمة لونه مع فصاحة لسانه، وحلاوة شمانله، شبه بطائر أسود غرد عندهم للتمثيل به، واسمه علي بن نافع مولى المهدي العباسي محمد بن أبي جعفر المنصور، ويكنى أبا الحسن، وقال عيادة الشاعر: بل زرياب اسم للذهب، لقب به هذا المغني، لما كان لونه لون الذهب، وذكروا أنه جرت له ببليده قصة، جرتها عليه الحسادة؛ فازعجته إلى قاصية المغرب؛ فاضطرب ببليد إفريقية مديدة، ووصف له عظم شان الأمير الحكم بن هشام صاحب الأندلس وبعد همته وقوة سلطانه فأمه، وانحدر يريد الأندلس. ابن حيان: المقتبس، السفر الثاني، ص308-309.

7- المقري: المصدر السابق، ج2، ص128.

تَهَادَى بِهِ النَّاسُ الطَّافَةُ وَسَامَ الْمُقِلُّ بِهِ الْمُكْثَرُ¹.
حرص النصارى كذلك على الاحتفال بعيد "خميس العهد"، أو خميس
أبريل، وفيه كانوا يأكلون المجبنات الحارة².
وقد تصدى الفقهاء لمشاركة المسلمين بالاحتفال بأعياد النصارى
بالنقد، واعتبروها من البدع المحرمة، وفي ذلك يقول الطرطوشي: "ومن
البدع... إقامة "ينير" بابتياح الفواكه كالعجم، وإقامة العنصرة، وخميس أبريل،
بشراء المجبنات والإسفنجة، وهي من الأطعمة المبتدعة، وخروج الرجال
جميعاً أو أشنتاً مع النساء مختلطين للتفرج"³.
أفتى الفقهاء أيضاً بتحريم ما يصنع من أعمال في عيد النيروز؛ فقد
سئل أحد الفقهاء عن حيلة عمل شيء من الملاعب التي تصنع في النيروز من
الزرافات والكمادين وما يشبهها؟ وهل ثمنها حلال لصانها أم لا؟ فأجاب
على ذلك بأن قال: لا يحل عمل شيء من هذه الصور، ولا يجوز بيعها ولا
التجارة بها، والواجب أن يمنعوا من ذلك"⁴.
وقد ذهب الطرطوشي إلى أبعد من ذلك عندما اعتبر اجتماع الناس
بالأندلس على ابتياح الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان بأنه من البدع
المحرمة⁵.

5- اللباس:

إن من أهم شروط إقامة أهل الذمة في الدولة الإسلامية هو تقييدهم
باللباس الذي يميزهم عن المسلمين، وأن لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين
في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته، ويؤخذوا بأن يجعلوا في وسطهم
الزنارات، وبأن تكون قلانسهم مضربة⁶.
ومن خلال هذه القيود يمكن التحدث عن مدى تطبيقها في الأندلس
خلال عهد الدولة الأموية، والظاهر من المصادر العربية أنه لم يتم فرض
التقيد باللباس على أهل الذمة بصورة عامة إلا في فترة متأخرة، وقد اعترف

1- ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي: مطمح الأنفس ومسرح التأنس
في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت،
ط1، 1403هـ/1983م، ص 214.

2- الطرطوشي: الحوادث والبدع، إشراف لجنة التحقيق بدار الفتح، الشارقة، 1415هـ - 1995م،
ص115/ سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص73.

3- الطرطوشي: الحوادث والبدع، ص117.

4- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد: فتاوي ابن رشد، تقديم وتحقيق المختار الطاهر التليلي، دار
الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م، ج2، ص940.

5- الطرطوشي: الحوادث والبدع، ص117.

6- القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، دبت، ص127.

كاجيكاس بأن تلك الإجراءات الخاصة بالمظهر الخارجي لم تطبق، وأن أهل الذمة لا يميزون عن عامة المسلمين¹.

ومن المفيد هنا إثبات نص بالغ الأهمية أورده المقرئ، وذلك في حديثه عن فراء القنلية حيث يقول: "والقنلية حيوان أدق من الأرنب، وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثيراً ما تلبس فراءها، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى"².

ويعتبر هذا مظهراً للتسامح ودليلاً على أن أهل الذمة لم يتعرضوا لأي مضايقات في الأندلس، بل أعفوا من قيود كثيرة كان من المفروض عليهم مراعاتها التزاماً بشروط عقد الذمة، ولكن تم تجاوزها لاعتبارات خاصة.

وقصارى القول أن أهل الذمة شكلوا مجموعة مهمة من نسيج الدولة الإسلامية في الأندلس بانصهارهم في الحياة العامة وإسهاماتهم فيها الأمر الذي جعلهم يرتقون إلى المكانة اللائقة بهم. وقد تميزوا باختلاطهم بالمجموعة المسلمة والذي تمثل في المصاهرات بشقيها. كما أنهم أثروا الساحة الإسلامية بمهاراتهم الفنية والعملية في بعض المهن الحرة وبخاصة مهنة الطب التي برعوا فيها. ويبقى أنهم بانفتاحهم مزجوا عاداتهم بعبادات المسلمين حتى أن وجدهم الزي والأعياد في غالب الأحيان. ولم تكن صفتهم كذمين تمنعهم من التواد مع المسلمين.

لكن اتحادهم مع المولدين الذين ظلوا ينقمون على العرب استثنائهم بالمناصب الإدارية والدينية شكل تهديداً حقيقياً على الدولة الأموية بالأندلس.

1- Cagigas – op cit – T1 p65.

2- المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص198.

بيبلوغرافيا
المصادر/المراجع باللغة العربية
المراجع المعربة/المراجع باللغة الأجنبية

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر:

- 1- ابن الأثير "أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي" (ت 658هـ/1260م):
الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م.
- 2- ابن الأحمر إسماعيل (ت 807هـ/1405م): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- 3- ابن أبي أصيبعة "أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي" (ت 668هـ/1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.
- 4- ابن جليل "أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي" (ت 384هـ/994م): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
- 5- ابن حزم "أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي الأندلسي" (ت 456هـ/1063م): طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق أحمد الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1980م.
- 6- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003م.
- 7- الحميري "محمد بن عبد المنعم" (ت 726هـ/1326م): صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م. بيروت، 1418هـ/1998م.
- 8- ابن حيان "أبو مروان حيان بن خلف القرطبي" (ت 469هـ/1079م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس قطعة تعالج عهد الأمير الحكم بن هشام، تحقيق محمود علي مكي، القاهرة، 1422هـ/2001م.
- 9- قطعة من كتاب المقتبس تعالج تاريخ الأندلس خلال السنوات الأخيرة من إمارة عبد الرحمن بن الحكم ومعظم إمارة محمد بن عبد الرحمن، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ/1973م.
- 10- قطعة من المقتبس من عهد الأمير عبد الله، نشرها الأب ملشور أنطونية، بولس كتنر الكتبي، باريس، 1937م.

- 11- قطعة من المقتبس تعالج خمس سنوات غير كاملة من خلافة الحكم المستنصر بالله (360-364هـ)، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م.
- 12- ابن خاقان "أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي" (ت 529هـ/1135م): مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
- 13- ابن الخطيب "لسان الدين بن محمد السلماني" (ت 776هـ/1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- 14- الخشني "محمد بن حارث القيرواني" (ت 361هـ/971م): قضاة قرطبة، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م.
- 15- ابن رشد "أبو الوليد محمد بن أحمد" (ت 520هـ/1126م): فتاوي ابن رشد، تقديم وتحقيق المختار الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
- 16- الزبيدي "أبو بكر محمد بن الحسن" (ت 379هـ/989م): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973م.
- 17- الزجالي "أبو يحيى عبد الله بن أحمد القرطبي" (ت 694هـ/1294م): أمثال العوام في الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، د.ت.
- 18- الطرطوشي "أبو بكر محمد بن الوليد الفهري" (ت 530هـ/1135م): الحوادث والبدع، إشراف لجنة التحقيق بدار الفتح، الشارقة، 1415هـ/1995م.
- 19- ابن عذاري "أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي" (كان حيا سنة 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.
- 20- العذري "أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي" (ت 478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.
- 21- القرطبي "شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري" (ت 671هـ/1272م): الإعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام وإظهار

- محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، 1980م.
- 22- القفطي "جمال الدين علي بن يوسف" (ت 646هـ/1248م): تاريخ الحكماء، مكتبة المتنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر، د.ت.
- 23- ابن القوطية "أبو بكر محمد بن عمر الإشبيلي" (ت 367هـ/977م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتقديم ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1402هـ/1982م.
- 24- ابن القيم الجوزية "شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر" (ت 751هـ/130م): أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح، دار العالم للملايين، بيروت، ط4، 1994م.
- 25- القاضي أبو يوسف "يعقوب بن ابراهيم": كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

ثالثاً: المراجع العربية:

- 26- مؤنس حسين: فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1405 هـ/ 1995م.

رابعاً: المراجع المعربة:

- 27- بالنثيا أنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م.
- 28- بروفنسال ليفي: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمه إلى الإسبانية إميليو جارثيا جومث، ترجمه إلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جدة، 2000م.
- 29- دوزي رينهارت: تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

خامساً: البحوث والندوات:

- 30- سحر السيد عبد العزيز سالم: الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق محمد حمام، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، 1995م.

سادساً: المراجع الأجنبية:

- 31- cagigas Isidro de las - minorias etnico-religiosos de la edad media espanola - los mozarabes- instituto de estudios africanos- madrid 1947.
- 32- simonet francisco javier - historia de los mozarabes de espana- madrid 1897- 1903.

سابعا: المقالات الأجنبية:

33- Harakat Brahim – La communauté chrétienne Et celle d'origine chrétienne En Espagne musulmane vues par Les sources arabes- L'occident chrétien Au Moyen Age- coordonné par Mohamed hammam- université Mohamed v- publication de la faculté des Lettres Et Des sciences humaines- 1^{re} édition- Rabat 1995-